

## الطبيعة وما فيها من التعاليم القرآنية من موقف الراوندى والقرطبي

\* مجيد خزاعى

\*\* محمدرضا ستوده نيا

\*\*\* سيد مهدي لطفى

### الملخص

الطبيعة تتكون من عناصر الأرض والماء والهواء، والكائنات من النباتات والحيوانات وعلاقتها البيولوجية المتوازنة. هذه الثروة الغنية، هي الهدية الإلهية التى مُنحت على الكائنات الحية، لصالح جميع المخلوقات، حتى يبذل البشر جهده فى إعمار الأرض ويعمل فى استبقاء سياق بيئة مناسبة لجميع المخلوقات. لذلك ينبغى تذكير حق الإنسان فى استخدامها من القضايا المهمة فى مجال حقوق الإنسان. فى هذا المقال نتطرق إلى تعريف العناصر الأساسية للطبيعة والبيئة المعيشية للإنسان فى الموقف القرآنى؛ كما نبين الآيات المرتبطة بهذين المجالين بالأسلوب التفسيري الفقهي للإمامية وأهل السنة الذى يستمد من كتابين «فقه القرآن» للراوندى و«الجامع» للقرطبي. فنركز على الإنسان و تعاملاته مع الطبيعة و نقوم بإثبات فرضية مسؤولية المتعدى إلى حقوق الطبيعة الأخلاقية والمدنية والجنائية.

**الكلمات الرئيسية:** التفسير الموضوعى والتفسير القانونى، القرآن الكريم، القرآن الكريم والطبيعة، حقوق الطبيعة.

---

\* طالب الدكتوراه فى فرع علوم القرآن والحديث، جامعة اصفهان وعضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية فى جيرفت (هذه المقالة مستخرجة عن رسالة الدكتوراه).

\*\* عضو هيئة التدريس فى فرع علوم القرآن والحديث بجامعة اصفهان (استاذ مشارك).

\*\*\* عضو هيئة التدريس فى فرع علوم القرآن والحديث بجامعة اصفهان (استاذ مساعد).

الكاتب المسؤول: مجيد خزاعى

## المقدمة

الطبيعة التي تشكل فيها البيولوجية للنباتات والحيوانات ولا تزال تستمر، فلها أهمية كبيرة على حدّ تعتبر كأهم المواضيع في بيولوجية الإنسان والكائنات الحية الأخرى. من ناحية أخرى الثقافة والحضارة الصناعية تهدّد حياة البشر في عصرنا هذا؛ وحضارته المدنية التي ترتبط بالعلاقات الاجتماعية وتفاعل البشر مع الطبيعة كبيئته المعيشية تدعو كل دارس ديني إلى الخوض في النصوص الدينية لإدراك موقف الدين في هذا المجال. فالقرآن الكريم أهم مصدر لمعرفة موقف الدين الإسلامي في مجال الطبيعه والبيئة المعيشية الإنسانية. فيقول إلى الإنسان كيف يتعامل مع الطبيعة للتمتع بها وتلبية احتياجاته.

الدراسات القرآنية التي يستعرض الطبيعة والبيئة المعيشية الإنسانية إلى القرآن الكريم، يستحوذ على مواقف هذا الكتاب السماوي في مجال وصف الطبيعة، والأوامر والنواهي في العلاقات الإنسانية معها. من أجل الفهم الصحيح لسؤال البحث يجب في الوهلة الأولى ذكر المبادئ العملية والتحقيقية من الرأى العام والإمامية التي فعال في فهم المشكلة بالإيجاز. لكننا بالنظر على الموضوع الفقهي لهذا المقال نحاول لتحديث التفاسير الفقهية فلذا نتكلم قليلاً عن التعريف بالقرطبي والراوندى وتفسيريهما.

## ١. التعاريف

### ١-١. التفاسير الفقهية

التفاسير الفقهية هي تفاسير تنتمي إلى تفسير الآيات المرتبطة بالأحكام الشرعية التي تتعلق بعمل المكلف (التكليفية أو الوضعية) فحسب، ولهذا تعتبر من التفاسير الموضوعية (معرفت، ١٤١٩ق، ٢٠: ٢٢٨). فلأننا في هذا المقال نبحت عن العقائد الفقهية – الأخلاقية للتمتع بالقرآن الكريم ذهبنا إلى التفسيرات القرآنية. فاخترنا منها تفسيرين فقهيين يهتم بهما بحثاً و تاريخياً في الإمامية وأهل السنة وهما «الجامع لأحكام القرآن» و«فقه القرآن».

### ٢-١. التعريف الموجز بالقرطبي وتفسيره

كُتِبَ تفسير «الجامع لأحكام القرآن» على يد محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٥٧٨-٦٧١هـ) وطابعه الخاص في تفاسير أهل السنة الأخرى هو ارتباطه الوثيق بالفقه. الكاتب ورد في مجال الفقه بشكل واسع وفي بحثه الفقهي يتناول مواقف مذاهب الإسلامية المتنوعة مع أنه تخصص الحصة الكبرى للفقه الشافعي. فالقرطبي يتطرق إلى المباحث الفقهية ذيل الآيات القرآنية قدر الإمكان؛ وإذا لا ترتبط الآية بأى مسألة فقهية فيتناول جوانبها الأخرى ويفسرها. فتفسير القرطبي هي موسوعة فقهية كاملة. «الجامع لأحكام القرآن» تعتبر من أهم المصادر في التعرف بالآيات القرآنية والحصول على مواضيعها وخاصة آيات الأحكام الذي ملئ بالدراسات الفقهية والتاريخية والنقد والتحليل الأدبي (مهدي راد، ١٣٩١، ٢٣: ٢).

### ٣-١. التعريف الموجز بالراوندى وتفسيره

قطب الدين ابوالحسين سعيد بن عبدالله بن حسين بن هبة الله الراوندى الكاشاني (متوفى ٥٧٣هـ) عرف بالقطب الراوندى. فكان محدثاً ومفسراً وكلامياً وفقهياً وفيلسوفاً ومورخاً كبيراً شيعياً في القرن السادس من الهجرة. فتلمذ عند الشيخ الطبرسي صاحب تفسير «مجمع البيان» كما كانت عنده مؤلفات كثيرة وكتابه «الخرائج والجرائح» أكثرها صيتاً. ومقبرته في ضريح سيدة معصومة (س) بقم المقدسة. فمن مؤلفاته تفسير «فقه القرآن»؛ وهو في هذا الكتاب بؤب الآيات القرآنية على أساس أبواب الفقه في مجلدين، وفسرها تفسيراً فقهياً بعد ذكرها. يبدو أن الراوندى أول الفقيه من الفقهاء الإمامية الذي يهتم بشرح وتفسير آيات الأحكام، فهو بتأليف هذا الكتاب كان بصدد التعويض عن قصور غياب مؤلفات حول آيات الأحكام والعقائد الفقهية للقرآن. من هذه الوجهة يعتبر تفسير الراوندى أول تأليف في البحوث الفقهية القرآنية للشيعنة ولو ألفوا قبل الراوندى في هذا فما كان شاملاً. فهو استمد من العلوم المتنوعة كالعلوم الأدبية والقرآنية والفقهية والحديثية لتفهم معنى الآيات المرتبطة بالأحكام. وفي النهاية يجعل جهده التفسيري في خدمة الاستنباط الحكمي من آية المقصودة (عليزاده، ١٣٩١، ج ١: ٤٢٤). هذا التفسير خصص لنفسه مكاناً خاصاً في التفاسير الفقهية الشيعية لشموله

وترابط مباحثه المنطقي ونتاجها في هذا المقال لنفس هذه الميزات الخاصة. تفسير الراوندى أو «فقه القرآن» أول تأليف فقهي في مجال آيات الأحكام كما صرح مؤلفه نفسه (الراوندى، ١٤٠٥ق، ٣: ١).

## ٢. المبادئ الحمليّة والتحقيقية

### ٢-١. مفهوم الطبيعة والبيئة المعيشية للإنسان وعلاقتها بالأخلاق

الطبيعة عبارة عن الكائنات التي ما كان دورٌ للبشر في صناعتها. فالبشر كان يعيش في الطبيعة قبل سكونته في البلاد. والطبيعة مجموعة من الظواهر الطبيعية والتعادل بين العناصر التي تعطى ضمانات حياة بيولوجية للنبات والحيوان. والبيئة المعيشية للإنسان هي عبارة عن علاقة تفاعلية بينه وبين النظم والبيئة التي تتشكل فيها. «الإنسان يعيش في عالم الطبيعة والمادة؛ وهذا العالم يجب أن يفتح حتى توفر للإنسان مرافق الحياة. فالإنسان يتبنى أسلوب حياته بايجاد الظروف الضرورية للبقاء وإرضاء الحوائج المعينة في داخل نظام اجتماعي معين وتاريخ معين» (الماسي، ١٣٧٧: ١٦٩).

### ٢-٢. القرآن والطبيعة

يشير القرآن الكريم في أكثر من ٧٥٠ آية إلى الظواهر الطبيعية ويعتبرها كآيات الإلهية. فتبين القرآن الكريم كثيراً من تمثيلات وتبيناته مستعينا بالطبيعة وطلب من الإنسان أن يتدبر في الآيات الإلهية (رستمى، ١٣٨٠: ١). إلى أن كثير من السور القرآنية سُميت باسم عناصر الطبيعة كالبقرة، الرعد، النحل، النور، النمل، العنكبوت، الدخان، النجم، الجن، الفجر، الشمس، الحديد، الليل، الضحى، القمر، التين، العلق، الناس، الفلق، البروج وهذه التسميات تدلّ على أهميتها في الثقافة القرآنية وضرورة الألفة معها. فالقرآن يعتبر الطبيعة كتمثل لعظمة الله تعالى وقدرته كما هو مظهر علمه؛ فيمجدها بأجمل الصور وتبين العلاقة الصحيحة بين الله تعالى والطبيعة وعلاقة الطبيعة المعقولة مع الإنسان أيضا بشكل جيد، وقد منحت للإنسان المعرفة الصحيحة والمنطقية من الوجود والطبيعة. القرآن الكريم هي وثيقة نهائية للوحى التي تشتمل على المقترحات

الوصفية من الطبيعة، والمقترحات الأمرية بالنسبة إلى علاقة الإنسان مع الطبيعة التي توصلنا بالقواعد الأخلاقية والحقوقية في مجال الطبيعة والبيئة المعيشية للإنسان. فنعرض في هذا المقال النظر التوصيفي القرآني على الطبيعة والأسوة التفاعلية المطلوبة لها.

### ٢-٣. الأخلاق والطبيعة

الطبيعة بمعناها العام وسيع المدى على حد يشتمل على نوعية حياة الإنسان علاوة على عناصر الطبيعة وتوازنها. فالإنسان باستخدام الطبيعة وتسخيرها وباستخدام قوة نفسه للخلق يقدر أن يلتفق عناصر الطبيعة مع عناصر كيفية حياته في البيئة المعيشية، العملية، النزهة وفي النتيجة يتعالى بيئته المعيشية كما يتمتع بالطبيعة ويخلق آثارا في الثقافة والتاريخ والمعنويات التي ينتهي بخلق الأخلاق والآداب التعاملية مع الطبيعة، وينبغي أن يذكر تحت عنوان أخلاق الطبيعة.

### ٢-٤. حقوق الطبيعة

بالنسبة لكلامنا «حقوق الطبيعة» هو مجموعة من الإلزامات التي يبين أعمال الإنسان على عناصر الطبيعة، وينتظمها وفي النهاية يتضمن نوعية حياة أفضل.

## ٣. التعاليم القرآنية في العلاقة مع الطبيعة

يعتبر القرآن الكريم أهم وأكمل كتاب سماوي، وينطوي على المفردات الرئيسية التي مؤثر في معرفة الطبيعة وعناصرها المكونة والتوجيهات الأخلاقية والمتطلبات القانونية ذات الصلة بها. مفردات الخلق، الرحمة، الآية، الخلافة، والملكية من المفردات التي تظهر موقف القرآن الكريم في هذه المجال.

### ٣-١. الخلق

الله تعالى هو مبدأ تكوين الخلق. فالقرآن الكريم يختص الحمد والتسبيح لله الذي هو خالق السماوات والأرض:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ (انعام / ١)

فتقول الآية خلقَ الله تعالى جمال الدنيا للمؤمنين:

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

مع أنه يتمتع الكفار بهذا الجمال تالي المؤمنين ولكن أصله خلق للمؤمنين، في الدنيا كلاهما يستطيعان أن يستفيدا من هذا الجمال ولكن في الآخرة يتمتع به المؤمنون فقط (الراوندي، ١٤٠٥، ج ١: ١٦٧).

وهكذا الظواهر والمخلوقات تتمتع بحسن الخلق، وسبب هذا الحسن هو أنها تم إنشاؤها في سياق العدالة. كما يقول النبي الأكرم (ص): «بالعدل قامت السموات والأرض» (ابن أبي جمهور، ١٤٠٥، ١٠٣: ٤)، وفي الأصل "العدل" هو ميزان الله تعالى في خلق الكون:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن / ٧)

الخلقة تم تشكيلها على أساس الحق الذي يصاحب العدل:

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾ (الأحقاف / ٣).

فلذلك الله تعالى استمتع كل مخلوق حسب كفاءته وجعله في طريق التكامل:

﴿رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ تُنْهِدِي﴾ (طه / ٥٠)

على هذا الأساس خلق الكون أمرٌ جديرٌ بالثناء (القرطبي، ١٤٠٥، ج ١١: ٢٠٤).

الطبيعة من مصاديق الكائنات التي بنيت على أساس التوازن والخير والجمال، لذلك نظم الكون يوجهنا إلى معرفة التوازن البيولوجي والحفاظ على جمال الطبيعة بوصفها اليمين الأساسية. ومن خلق الكائنات الحية نجد أن لديهم موهبة العيش والبقاء. هذه الموهبة الطبيعية هي أهم الوثائق لتحديد حقهم في تحقيق التوازن البيولوجي. ولذلك حق التمتع بالطبيعة الناتج من منح الخلق والهداية لها من وجهة نظر القرآن يُعتبر حق شامل لكل كائن حيّ وخاصة الإنسان.

وفقاً لآيات من القرآن الكريم كل المخلوقات يتمتعون بالرحمة الإلهية:

﴿...وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ...﴾ (الأعراف / ١٥٦)

التي لا نهاية لها في الشمول والعمومية ويشتمل على كل فرد وكل شيء (القرطبي،

١٤٠٥، ٢٩٦: ٧)؛

﴿...رَبَّنَا وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةٌ وَعِلْمٌ...﴾ (غافر / ٧)

تؤكد النصوص الدينية على شمول رحمة الله تعالى على كل الأشياء: «اللهم إني أسئلك برحمتك التي وسعت كل شيء» و من أهم الخصائص لهذه الرحمة تقدمها للغضب الإلهي: «يا من سبقت رحمته غضبه». وهكذا الرحمة الإلهية السابقة تيار السائد والمستمر. فبالتالي يمكن القول بأن الإصالة للرحمة في خلق الكون و الطبيعة (مطهرى، ١٣٥٣: ٢٤٦).

ومن أبرز تجليات الرحمة الإلهية هي قدسية الطبيعة، فالقدسية ميزة الخلق. وتوجد في الطبيعة الأدلة الواضحة لمؤسسية هذه الصفة على سبيل المثال البحار والنباتات تأخذ الغاز "أنهيدريد الكربونيك" فتتنقى الهواء والغلاف الجوى. إذا لم يتم تكرير الهواء من قبل المصافي التي أنشئت في قلب الطبيعة كان يفقد الغلاف الجوى للأرض كفاءته البيولوجى بعد فترة وجيزة لأنه كان من المستحيل التنفس فيه. تحليل جثث الحيوانات التي تموت وعمليات تحلل الزوائد التي تفرز الكائنات الحية مثال آخر من الصقل وتنقية الطبيعة.

تغلب الرحمة الإلهية في الكون هو دعم لإصالة الصحة والطهارة فيها. هكذا كتاب خلق الطبيعة هي السلطة المختصة للتعرف على الكيانات القانونية الحقيقية للكائنات الحية التي تعيش في الطبيعة أو ستعيش في المستقبل. الحق في الصحة والنظافة، يعتبر من الحقوق الأساسية للطبيعة والبيئة البشرية. لذلك الأنشطة الصناعية والاقتصادية هي مقبولة إلا إذا كانت لا تتعارض مع صحة ونظافة الطبيعة. في النصوص الدينية، يرد الله كما هو التنظيف ومحبة النظافة (نهج الفصاحة: شماره ٧٠٣) ولا يوفر الجنة إلا للمطهرين (نهج الفصاحة: شماره ٦١٢) وتؤكد على نظافة القصى وتعتبر أساس الإسلام على النظافة (نهج الفصاحة: شماره ١١٨٢).

### ٣-٣. الآية

القرآن الكريم يعرف السموات والأرض آية من مجد الله:

﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (العنكبوت / ٤٤)

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ السِّتِّكُمْ وَالْوَاكِعُكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِّلْعَالَمِينَ﴾ (روم / ٢٢)

و الله تعالى يعتبر نمو النباتات في الأرض من آياته:

﴿أُولَعِبْرُوا إِلَى الْأَرْضِ كَمَا أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء / ٨-٧)

كما تعتبر حياة النحل وتمتعه بزهرة الرحيق لإنتاج العسل آية وعلامة لأهل التعقل:  
﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (نحل / ٦٧)

فمن العجب أن القرطبي ذيل كلمة «سكرا» يناقش بالتفصيل في خمس صفحات ولكنه في نهاية المطاف، لا يذكر الهدف النهائي والتعقل (قرطبي، ١٤٠٥، ٢: ١٢٨-١٣٣). لذلك في ايدئولوجية القرآن الكريم تعتبر الطبيعة من أمثلة الوحي الإلهي. فالطبيعة مظهر من مظاهر الله والإنسان يتلقى في كل نقطة منها الحضرة الإلهية:  
﴿...فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَثُمَّ وَجَّهُ اللهُ...﴾ (البقرة/١١٥)

على الرغم من أن هذه الآية تتحدث عن القبلة والراوندى يعتبرها مرتبطة بقبلة المصلى في الرحلة (الراوندى، ١٤٠٥، ١: ٩١)، والقرطبي يعتبر هذه الآية لمصلّ فشل في كشف القبلة بسبب الغطاء السحابي ولكن بعد ذلك اتضح أنه ليست صلته إلى القبلة. في هذه الحالة يستحب إعادة الصلاة وبطبيعة الحال إذا كان وقت الصلاة باقياً (القرطبي، ١٤٠٥، ٢: ٨٠). ولكن بداية هذه الآية تشير ما لدينا بوضوح (الراوندى، ١٤٠٥، ١: ١٤٤):

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾

وكما يقول القرطبي هذه الآية دالة على ملكية الله على المشرق والمغرب (القرطبي، ١٤٠٥، ٢: ٧٩).

القرآن الكريم يعتبر السماء والنجوم والشمس والقمر والغيوم والمطر والرياح، والسفن في عرض البحر، والنباتات، والحيوانات، وأخيراً كل ملموس يرى الإنسان من حوله باعتباره من القضايا التي تحتاج إلى أن يفكر فيها (مطهرى، ١٣٨١، ج ٢: ٧٠) كما يدعو الإنسان بالعبادة ودراسة السماوات والأرض:

﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ (يونس/١٠١)

فالقرآن الكريم يعتبر أنحاء الخلق، كأعراض وعلامات الإلهية في معرفة الحقيقة، ويعبر عن عالم الخارج من الإنسان بالآفاق:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...﴾ (فصلت/٥٣)



الذى ينبغي أن نفكر فيه:

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ (آل عمران/١٩١)

حتى يتم اكتشاف الحقائق والسنن والآيات الإلهية. من أهم هذه الحقائق التى يمكن الحصول بها بالتفكير والتدبر هى أن الطبيعة تمّ إنشاؤها للحدوث وبقاء الكائنات الحية ولذلك الحفاظ على التوازن البيئى للطبيعة هو حق أصيل للكائنات الحية. الطبيعة هى علامة تحكى عن السنن الإلهية مثل الكائنات الحية والحاجة للحفاظ على إنتاجية بقائهم على قيد الحياة. السنن التى يمكن أن ينتزع منها الحقّ فى الحياة والحقّ فى التمتع من الطبيعة لجميع الكائنات الحية خاصة البشر. فالطبيعة هى آية ملموسة لقوة الله الذى فى نظامه التنموى العادل منح الحياة لمخلوقاته كبيرها وصغيرها. فهو يعتبر نظام التنموى المقدس ويجب على البشر تنسيق أنشطتها على وجه الأرض لتفعله حيال ذلك. تلوث العناصر الطبيعية مثل المياه والتربة والهواء، وتدمير الطبيعة هو العدوان والإيذاء فى تطوير النظام الإلهى المقدس.

#### ٣-٤. الخلافة

قدّم الله فى القرآن الكريم، الإنسان كخليفته فى الأرض:

﴿...إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ (البقرة/٣٠)

واعتبر سرّه علم الأسماء الذى علّمه للآدم:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...﴾ (البقرة/٣١)

أو ألهمه (القرطبي، ١٤٠٥، ج: ١، ٢٧٩).

نقل «تفسير القمى» من الإمام على (ع) حول المقصود من «الأسماء» فى الآية الشريفة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...﴾: «هى أسماء الجبال والبحار والعقاقير والنباتات والحيوانات» (القمى، ١٤٠٤، ج: ١، ٤٥)، و نقل العلامة الطباطبائي فى «الميزان فى تفسير القرآن» رواية عن داوود بن سرحان العطار: كنت فى حضرة الإمام الصادق (ع) فأمر أن يحضروا طعاماً فأكلنا، ثم أمر أن يحضروا مغسلة وسنان. قلت: روحى فداك! ما هو المقصود من «الأسماء» فى آية ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ...﴾ هل نفس هذه المغسلة والسنان جزء منها؟ فأجابنى: الوديان والضيق والصحارى جزء منها وأشار بيده إلى الأطلال

والأحواض (الطباطبائي، ١٤٠٥، ج ١: ١٢٠)؛ و وفقاً لما قال القرطبي «الإسم هو أى شىء ما كانت الملائكة قادرات على تعلّمه» (القرطبي، ١٤٠٥، ج ١: ٢٧٩). هكذا جعل الإنسان كخليفته فى الأرض ومنحه قدرة الإستيلاء على الطبيعة حتّى يعمرها: ﴿...وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...﴾ (هود/ ٦١) وطلب منكم إعمارها والسكونة فيها (القرطبي، ١٤٠٥، ٥٦ : ٩) ودعا الإنسان ألى التمتع بمواهبه وفضله فى الأرض: ﴿...وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ...﴾ (الجمعة/ ١٠)، حتّى يسير فى نواحيها و يتمتع بأرزاقها:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾

(الملك/ ١٥)

الإنسان هو خليفة الله فى إعمار الأرض ليدبر الأمور من قِبل الله تعالى (الراوندى، ١٤٠٥، ٢ : ٥).

ومع ذلك يتطلب هذه الخلافة بأنّ الإنسان نفسه أو مطابق لأوامر الأنبياء يحفظ هذه الأمانة الإلهية بوجه حسن ويحفظها من أىّ خراب ودمار، ويحاول فى الإعمار وإنتاجيتها بعلمه ويتضمن توفر البيئة البيولوجية للكائنات الحية جمعاء. ورمز التمتع بالطبيعة مع التحفظ بتوازنها البيولوجى هو ذكر الله تعالى والتذكر بخلافته فى الأرض والقبول بإحاطة ذاته القدسى على كل شىء: ﴿...وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ (النساء/ ١٢٦).

فيتجنب من تلوث الطبيعة وإنتاجيتها غير صحيحة العلماء بسنن الحاكمة على الطبيعة والملتزم على التزاماتهم فى الخلافة بحتاً، وينطبق كل جهودهم فى الحفاظ على توازن الطبيعة وبما أنّ الله هو حفيظ للطبيعة وجميع الموجدات فيها: ﴿...إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾ (هود/ ٥٧) فعلى خليفته أيضاً الحفاظ على المواهب والموارد الطبيعية من النباتات والحيوانات عن تدمير والتدهور. بمعنى آخر الأرض والماء والسماء والطبيعة هى الودائع الإلهى التى أودع له وأنشئت لإنتاجيته المتوازنة. لهذا الإنسان هو مسؤول للحفاظ على الطبيعة (نصر، ١٣٨٢: ٢٠٤).

النبي الأكرم (ص) يؤكد على احترام الأرض، ويعتبرها كأمّ يترزق منها التى تخبر عن الأعمال البشرية صالحها وفاسدها أيضاً: «تَحْفَظُوا مِنَ الْأَرْضِ فَإِنَّهَا أَمَّكُمْ وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ عَامِلٍ عَلَيْهَا خَيْرًا أَوْ شَرًّا إِلَّا وَهِيَ مَخْبِرَةٌ بِهِ» (نهج الفصاحة: ٢٢٦). من الأمور التى تخبر الأرض منها هى نوعية الإنتاجية وحماية الإنسان من عناصرها ومواردها. الدستور التشريعى للجمهورية

الإسلامية الإيرانية على أساس تعاليم القرآن والسنة النبوية قرّر في أصل الخمسين في مجال حفظ الطبيعة: «في الجمهورية الإسلامية يعتبر واجبا للعام الحفاظ على الطبيعة التي يستحق للجيل اليوم والجيل القادم أن يتمتع فيها بالحياة الاجتماعية المتنامية؛ لذا الأنشطة الاقتصادية وغيرها من الأنشطة التي تسبب تلوث الطبيعة أو تدميرها غير قابلة للاسترداد هي محظورة».

### ٥-٣. التسخير

الطبيعة مسخرة للإنسان على أساس التعاليم القرآنية. *الراغب الإصفهاني* في «المفردات» يعتبر "التسخير" بمعنى التقاط الحركة والقوة الدافعة إلى الهدف المعين (الراغب الإصفهاني، ١٣٧٦ : ٢٣٢)؛ ويعتبرها *القرطبي* في «الجامعات» بمعنى الهيمنة أو استخدام الشيء مع السلطة (القرطبي، ١٤٠٥، ٢٥٩ : ١٨).

تحكى آيات كثيرة من القرآن الكريم عن تسخير الكائنات الطبيعية للإنسان وهذا بمعنى ترويض هذه المخلوقات لأجل استخدام البشر. كما يقول: ﴿...وَسَخَّرْنَا لَكُمْ الْبَحْرَ﴾ (ابراهيم/٣٢) و﴿...وَسَخَّرْنَا لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ (ابراهيم/٣٣) و﴿...وَسَخَّرْنَا لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ...﴾ (النحل/٣٣) و﴿...وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا...﴾ (النحل/٣٣)، وفي النهاية يعتبر تسخير كل الكائنات للإنسان: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ و﴿...وَسَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِمَّنْ﴾ (الجاثية/١٣).

ويعتقد بعض المفسرين أن جميع المخلوقات مسخّرون بأمر الله لصالح البشر، سواء كانوا مسخّرين بأمر الإنسان أم لا وهكذا «لام» في «لكم» تعتبر لام المنفعة (مكارم شيرازي، ١٣٦٢، ٦٤ : ١٧). ويعتقدون البعض الآخر حول آية:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ...﴾

بأنّ هذه اللام لتعليل الغاية بمعنى أنّ الهدف من تسخير المخلوقات هو لإنتاجية الإنسان من السماوات والأرض (العلامة الطباطبائي، ١٤٠٥، ٢٢٩ : ١٦).

وذلك سواء كانت "للمنفعة" أو "للاغاية" فتسخير الطبيعة متوقعا لصالح الإنسان طول حياته، وهذا يحكى عن الواقع القانوني المهم وهو أن التمتع بالسماوات والأرض والمخلوقات هو حق لجميع البشر، وأى حيازة والتمتع بالطبيعة لا ينبغي أن تكون غير

متوافقة مع حقوق الإنتاجية للآخرين. الطبيعة في تسخير الإنسان حتى يتمتع بالكائنات لكن هذا التمتع لو ينتهي إلى فقدان الأنواع المتنوعة من الكائنات الحية، وتمنع استخدام البشرى في المستقبل ويعتبر كفران النعم الإلهية ودليلاً قاطعاً على التعسف في استعمال الحق.

واحد من مشاهد تسخير الكائنات والسموات والأرض للإنسان هو تسخيرها العلمية بمعنى أن الإنسان يتمتع بالقدرات العلمية، على حد يستطيع أن يحيط على التقاليد والقواعد الحاكمة على الكائنات في الطبيعة والنباتات والحيوانات. ووفقاً للتعرف بخصائصها الجمادية والنباتية والحيوانية يدبّر الأمور للحفاظ بوجودها ويخطو خطوات لتنمية حياة الكائنات الحية. ولكن من المؤسف أن البشر مع سوء استخدام لقدراتها العلمية والبناء واستخدام الأسلحة النووية والكيميائية يضر إلى الحياة البيولوجية والكائنات الحية بشدة. هذا السلوك مع الكائنات الحية يتنافى مع هدف تسخير الحيوانات للبشر؛ لأنّ تتوقع هذه القدرات العلمية لإزدهار الطبيعة وتطورها إلى حد الأقصى.

*الامام على (ع)* يعتبر استخدام قدرة التسخير على أساس التقوى لأنّ يجب على الإنسان رعاية حقوق بيئته المعيشية والكائنات الحية. فيقول: «اتقوا الله في عباده وبلاده فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم» (نهج البلاغة، خطبه ١٦٦: ٣٨٥) مع أنّ القرآن الكريم يعتبر للإنسان حق الاستيلاء على البحر والأنهار والشمس والقمر والليل والنهار ويذكره بتنوع بركات الله التي لا تحصى لكنّه يقدم الإنسان كمخلوق ظلوم وكفار:

﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾

(ابراهيم/٣٤).

لا شك في أن التمتع لو يكون مبنياً على الظلم والكفر يعتبر مثالا بارزا للعمل المنكر لأنّ في الموقف القرآني، دائرة شمول كلمة المنكر واسع إلى حد يشمل الاغتصاب والاعتداء على الطبيعة أيضاً. كما يعتبر هذا الشمول لعمران الأرض ويشمل صيانة وتطوير الطبيعة أيضاً.

فمن البديهي أن الأمة الإسلامية التي يعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كأهم ميزات من موقف القرآن:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾  
(آل عمران/ ١١٠)

مع إضفاء الطابع المؤسسى لثقافة الأمر بالحفاظ على الطبيعة يستطيع أن يكون صاحب هذا اللواء فى العالم. ويستفيد رجال الحكومة الإسلامية من سلطتهم لتعزيز الحفاظ على الطبيعة كالمعروف والمعارضة ضد دمارها كالمنكر:

﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (حج / ٤١).

### ٣-٦. الملكية

الملكية الحقيقية لجميع المخلوقات بما فيها من الإنسان والطبيعة لله سبحانه وتعالى:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران / ١٨٩)

وكل المخلوقات فى يد قدرته (القرطبي، ١٤٠٥، ٣٠٨ : ٤)؛ و

﴿...لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ (البقرة/ ١١٦).

المالكية الحقيقية التى يختص بالله تعالى لا يقبل التحويل للإنسان:

﴿...وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ...﴾ (الإسراء / ١١١).

لذا لا يستحق للإنسان أن يحق نفسه فى مالكية الحقيقة للكائنات الطبيعية ويستخدمها فى حال يضرّ بها ويدمرها. الإمكانيات التى منح للإنسان باعتبار ملكيته الإثتمانية هى فى الواقع وديعة إلهية والإنسان قيمه وهو مملوك الله تعالى:

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُوا أَيْمَانَكُمْ مَسْخُوفِينَ فِيهِ...﴾ (الحديد / ٧)

فالله تعالى فضل الإنسان على جميع المخلوقات وكرّمه ثم جعله كخليفته فى الأرض ولذلك أذن له فى إستخدام ما بقى من مخلوقاته. لذلك الإنسان كمالك غير حقيقى مأذون يستطيع أن يستفيد منها فى إطار مأذون له مع العمل بالأحكام واللوائح التى وضعت له. هكذا لا يمكنه أن يستولى بشكل غير مشروع عليها وتلوث الطبيعة يعتبر كنوع من هذا الإستيلاء وهو ظلم.

الإنسان للتعامل مع نفسه والآخرين وبقية المخلوقات يجب أن ينصب أمام عينيه مملوكية نفسه وسائر مخلوقات العالم بالقياس مع الله سبحانه، ويحاول فى تحصيل إذن

المالك الكون المطلق. أخذ هذا الإذن لا يمكنه إلا بالتبعية عن أوامره والإجتنب عن نواهيه التي تبينت بواسطة أنبياءه ورسله في الأديان الإلهية (جوادى آملی، بی تا: ١٧٢)، فالتصرف فى الطبيعة لا يجوز إلا فى إطار التعاليم الأخلاقية والحقوقية التى وضعها الدين. الإستخدامات الضارة التى يضر الكائنات تعتبر كالظلم وهى محرمات والذى يرتكبها يستوجب العقاب الإلهى. لأن الله تعالى لا يقبل الظلم علس أى من الكائنات:

﴿...وَمَا اللَّهُ يَرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران / ١٠٨).

### ٧-٣. النعمة

الطبيعة وما فيها هى من مظاهر النعم الإلهية للبشر:

﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَرِحْتُم بِهَا﴾ (النحل / ٥٣)

والنعمة بمعنى صحة الجسم وتوفر الرزق والأولاد (القرطبى، ١٤٠٥، ١١٤ : ١٠)، فالله وهب هذه النعم للإنسان حتى يشكره والشكر بمعنى الإستخدام الصحيح منها، وهذا الإستخدام الصحيح ينتهى إلى زيادة النعمة أو الإستمتاع بنعمة أخرى، كمكافأة لعملية الصحيحة فى التمتع بالنعمة: ﴿...لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...﴾ (ابراهيم / ٧)، ولكنه لو ينتهى استمتاعه بتلوث وتخريب الطبيعة هذا بمعنى كفرانه للطبيعة التى يعتبر كنعمة كبيرة فيستحق عقابا دنويا وهو فقدان هذه النعمة والموهبة الإلهية: ﴿...وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (ابراهيم / ٧)، كفران النعمة يعتبر كالمعارضة مع الحق الإلهية وتجاهل نعمه (القرطبى، ١٤٠٥، ٣٤٣ : ٩).

الإقصاء من النعم الإلهية ينتج عن حقيقة ناشئة عن الخصائص الداخلية مثل الحرص والطمع والتجاهل بالسنن والمعاهدات الإلهية:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾ (انفال / ٥٣)

فتغيير هذه النعم يوجب العذاب (القرطبى، ١٤٠٥، ٢٩ : ٨). لذا جذور أزمة الطبيعة هى فى داخل الإنسان وعبارة عن الأزمة الأخلاقية والداخلية وعملية غير الشرعية بالنسبة للطبيعة والنعم الإلهية الأخرى:

﴿فَكَفَرْتَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ فَآذَاهَا اللَّهُ لِيَأْسَ الْجُوعَ وَالْخَوْفَ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النحل / ١١٢)

فكفران النعمة هو الفتنة ويسبب فى زوال النعمة(القرطبي، ١٤٠٥، ١٩٤: ١٠). وفى المقابل رعاية الحدود والسنن الإلهية والتزام الإنسان على المبادئ البيولوجية على أساس التعاليم السماوية يسبب فى ازدهار وعذوبة الطبيعة ويمهد الأرضية لأقصى تمتع ممكنه من الطبيعة: ﴿ وَالْوَأْسِقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً عَذْقًا ﴾ (الجن / ١٦) وهذا كناية عن انفتاح لهم فى الدنيا ووفرة رزقهم(القرطبي، ١٤٠٥، ١٧ : ١٩)، والايمان والعمل إلى الإوامر الإلهية يسبب فى تمتعه بالنعمة السماوية والأرضية:

﴿ وَأَنْهَرُوا أَمَاوَا التُّورَاتِ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ (المائدة / ٦٦)

فيتناول من الآيات الشريفة بأنه توجد علاقة مباشرة بين التعاملات البشرية من جانب ومع الطبيعة من جانب اخرى. كما أن سوء التعاملات بين أفراد البشر ينتهى بظهور الفساد فى البر والبحر

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (روم / ٤١)

وحسن التعامل بينهم ينتهى بانفتاح أبواب البركة اسماوية والأرضية:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (اعراف / ٩٦).

يكتب الراوندى فى شرح آية:

﴿ كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾ (طه / ٨١):

«عدم الطغيان هو بمعنى التمتع بالنعمة الإلهية على وجه غير المحرّم ولو كان هذا التمتع بوجه محرّم يستوجب الغضب الإلهي»(الراوندى، ١٤٠٥، ج٢: ٢٣). هذا الوصف يحكى عن تعدى الإنسان على موارد النعمة الطبيعية وسوء استخدام لقدرة تسخير الطبيعة والتجاهل بالسنن الإلهية فى تسخيرها.

لذا التعاليم التى تشتمل على المبادئ الأخلاقية فى التعاملات البشرية لها نتائج ايجابية فى ازدهار وتنمية الطبيعة. علاوة على هذا قرر فى النصوص الدينية الثواب والمكافأة لتنمية عناصر الطبيعة. كما يقول النبي الأكرم: «من سقى طلحة أو سدره فكأنما سقى مؤمناً من ظمأ»(العلامة المجلسي، ١٤٠٣، ج٩: ٢١٢)، فثواب غرس الشجر، وحفر البئر

لعمران الأرض يقاس بثواب التعليم وبناء المسجد وتوريث القرآن والأولاد الذين يستغفرون لوالديهم وهذا الثواب يرجع على الإنسان بعد موته (نهج الفصاحة، ٤٩٧ : ١). فبعض الروايات تعتبر الحياة الفاقدة من الهواء النقي، الماء الزلال، الأرض الخصيبة وقابلة للزراعة صعبة جداً (علامة مجلسي، ١٤٠٣، ٢٣٤: ٧٥). جاء في بعض الروايات لو قام القيامة وكان في يد انسان شجرة يجب إن يغرسها (نورى، ١٤٠٨، ٤٦٠: ١٣). وعشرات أمثال لهذه الأقوال موجودة التي تدل على ضرورة اتحفظ بالطبيعة وتنميتها. وهذه علاوة على الأقوال التي جاءت في محذورية التعدى إلى الطبيعة كما قال النبي الأكرم (ص): «لا تقطعوا الأشجار لأنه يأتيكم بالعذاب الإلهي» (الحر العاملي، بي تا، ١٩: ٣٩).

فمن مجموع هذه المقترحات الايجابية والسلبية تستظهر الأوامر والنواهي الإرشادية والأخلاقية أو الأحكام التكليفية في الإستحباب أو الكرهة. جاء القرأ الكريم ببعض من هذه الأوامر والنواهي جنباً على جنب وأمر بالتمتع المتوازن بالطبيعة ونهى عن عدم التوازن. فيعتبر الإسراف كعامل لفقدان المحبة الإلهية: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف/٣١)؛ فيقول القرطبي: إن «تسرفوا» تحرم شيئاً ما كان حراماً قبل الإسراف (القرطبي، ١٤٠٥، ١٩٥: ٧)، فيعتبر المسرفين من أهل الجحيم:

﴿ إِنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ (المؤمن / ٤٣).

بالتأمل في هذا القسم من الآيات يمكننا استخراج القواعد الإلزامية والحقوقية والأحكام التكليفية في حرمة دمار الطبيعة واستخدامها غير صحيحة وأيضاً وجوب التحفظ بها. فاستلمنا من أمثال مفاهيم الخلق، الرحمة والآية والخلافة والتسخير والملكية والنعمة في القرآن الكريم أن الطبيعة هي تراث الإلهي للكائنات الحية والبشر، فيجب على الإنسان أن يهتم بعمرانها مع رعاية السنن الإلهية ويصونها عن المتلوثات والخراب. لهذا يعتبر البشر مسؤولاً أمام الله والكائنات والكون كله.

#### ٤. التطبيق لجريمة التعدى بالطبيعة

يتكلم القرآن الكريم من توازن الطبيعة بعبارة «موزون» فيقول:

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ (حجر / ١٩).



أذن الله للبشر أن يتمتعوا بشكل حلال عما جعل خصصت لهم، فلهذا لا يستحق الإنسان أن يستفيد من النعم الإلهية خارج عن أوامره ويجب أن يكون تصرفاته حلال ومجاز (الراوندى، ١٤٠٥، ٢: ٢١).

من البديهي أن كل تصرف في الطبيعة الذى ينتهى بخلل فى توازن الطبيعة يعتبر كفساد فى الأرض لذا يقول: ﴿... وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا...﴾ (اعراف/ ٨٥). التحفظ بتوازن البيولوجى والإصلاح فى الأرض يعتبر من المظاهر البارزة للإلتزام بالعهد الإلهى ومن البديهي أن التجاهل بهذا العهد يستوجب الخسران:

﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي

الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (الرعد/ ٢٥)

القرآن الكريم يعتبر التعدى ألى حريم الطبيعة وتضييع مواردها البيئية كالإعتداء ويقول: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِئِنَّا لَأَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (المائدة/ ٨٦) وهذا التعدى يسبب فى عقاب المتعدى (الراوندى، ١٤٠٥، ٢: ٢٦٣).

استنتجوا بعض من الدارسين من هذه الآية بأن من موقف القرآن الإنسان الذى يفسد فى الأرض، ويتعدى الحدود الإلهية وينقطع علاقته مع الله يبتعد من الرحمة الإلهية (محقق داماد، ١٣٧١: ٢٧٩). فالقرآن الكريم مع تعريف بحق تمتع البشر من ارزاق الأرض المكونة لا يقبل بأى طغيان فى التمتع بها (الراوندى، ١٤٠٥، ٢: ٢٣).

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ وَلَا تَطْعَمُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾

(طه/ ٨١)

فالقرطبي يستنتج من هذه الآية بأن يجب أن لا ينتهى وفور النعمة إلى عصيان الله، لأن العصيان بمعنى الإستخدام الخارج عن الحد المجاز بها شرعاً (قرطبي، ١٤٠٥، ٢: ٢٣٠). مع إمعان النظر فى النهى عن الطغيان فى التمتع بالرزق الإلهى يمكن الإستنتاج بحرمة تخريب البيئة المعيشية ومنع الآخرين من التمتع بها. ومن البديهي أن الذى بتمتعه يكون مانعاً للآخرين مشمول لغضب الله وفى النهاية يفشل ويسقط.

من الآيات القرآنية التى تتناول موضوع التعدى إلى الموارد الطبيعية، نفهم بأن التعدى إلى حريم الطبيعة ومواردها البيئية يعتبر كذنب يجىء بغضب الله. لذا يمكن تعيين عقاب هذه الجريمة بالنظر إلى قواعد الحقوق الجنائية فى الإسلام. كتب بعض من المؤلفين فى

هذا المجال: «آيات القرآن الكريم وأحاديث الأئمة المعصومين تتبين أهمية الطبيعة ووجوب الحماية منها وضرورة الإجابة في كل المجالات» (قاسمى، ١٣٨٠: ١٣٣). هكذا دمار البيولوجية، الإفساد فى الأرض، يعتبر كالتظلم إلى البشرية والكائنات الحية الأخرى ومن مظاهر الجلية للإثم. تلويث الماء والتراب والهواء، الذى ينتهى بالضرر إلى البشرية والكائنات الأخرى يجب أن يعتبر كالظلم وهو حرام فيتطلب بمكافأة متناسبة معها ويجب استخراج أساليب دفع خسارتها من المصادر الفقهية بالإجتهد.

كما كتب بعض المحققين تتعين القواعد الإلهية واجبات الإنسان قبال النظم العادى الحاكم على الطبيعة بصراحة. فالإنسان كما كتب له الشرع علاوة إلى استعانة الآخرين ورفع حوائج السائلين موظف بأن لا يتلوث الماء والتراب. موظف أن يرحم إلى والديه، يغرّس الشجر ويربى الحيوانات بالرأفة ويحميها ويحتفظ بسلامة بيئتهم المعيشية من الدمار (محقق داماد، ١٣٧١، ١٨٢). قسم الله تعالى فى القرآن الكريم إلى المخلوقات المتنوعة فى الطبيعة: «وَالَّتَيْنِ وَ الزَّيْتُونَ وَ طُورِ سِينِينَ»، «وَالفجر»، «وَالنجم»، «وَالطور»، «وَالضحى»، «وَالذاريات»، «وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا...»، هذا اليمين يحكى عن مكانة هامة للطبيعة عند الله فيجب المحاولة للحفاظ بهذه العناصر كما يحكى عن هذه الأهمية تسمية السور القرآنية بهذه الأسماء: سور البقرة، الرعد، النحل، النور، النمل، العنكبوت، الدخان، النجم، الجن، الفجر، الشمس، الحديد، الليل، الضحى، القمر، التين، العلق، الناس، الفلق والبروج.

فكيف يمكن أن ننظر إلى هذه العناصر بعين الإغماض وتبادر بتخريبها وأنها ذات هذه المكانة الخاصة عند الله. فالأمر الوحيد الذى يسوق البشر إلى التعدى إلى هذه العناصر هو الغفلة من الله تعالى. الإنسان الذى يؤمن بتعاليم ك ﴿... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ...﴾ (الأنبياء / ٣٠) ويعتبر نمو النبات من هذا الماء بأمر الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ...﴾ (انعام / ٦٦) ويعتبرها كميّات مشترك لجميع البشر الذى له قدر معين: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (قمر / ٤٩) ويعتبر نمو النباتات فى الأرض كأمر موزون: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ (حجر / ١٩) فهو لا يجوز نفسه أن يتلوّث الطبيعة ويختلّ توازنها. العقيدة العميقة بأن الماء والتراب والهواء موهبات إلهية يتوجه الإنسان المؤمن إلى تعزيز هذا الميراث المشترك للبشرية وللکائنات الأخرى.

### نتيجة البحث

القرآن الكريم يشتمل على المقترحات الوصفية فى مجال الطبيعة فالقسم الإلهى إلى العناصر الطبيعى، وتسمية سور القرآن بأساميها يحكى عن مكانتها الرفيعة عند الله وفى الثقافة القرآنية. من أمثال مفاهيم الخلق، الرحمة والآية والخلافة والتسخير والملكية والنعمة تعتبر من المفاهيم الأساسية لفهم موقف القرآن فى مجال الطبيعة وحقوقها.

القرآن الكريم يشتمل على التعاليم التى تحكى عن تفاعل الإنسان مع الطبيعة، فيعتبر تعدى الإنسان إلى الطبيعة كالإعتداء والإفساد فى الأرض ويقدم المتعدى كمحروم من الرحمة الإلهية الذى يستحق غضبه وعذابه. علاوة على المسؤولية الاخروية الناتج عن التعدى إلى الطبيعة فله مسؤولية مدنية وجزائية فى الحقوق الإسلامية. *قطب الدين الراوندى ومحمد القرطبي فى تفسيريهما الفقهية تكلموا عن الأحكام التشريعية للمتجاوزين على الحدود والذين يستغلون الطبيعة والنعمة الإلهية.*

## المصادر و المراجع

### العربية

#### القرآن الكريم

#### نهج البلاغة

#### نهج الفصاحة

حر عاملي، محمد بن حسن. لا تا، وسایل الشيعة، ج ١٨ و ١٩ و ٢٥، قم: مؤسسه آل البيت(عليهم السلام) لاحياء التراث.

الراوندي، قطب الدين سعيد بن عبدالله. ١٤٠٥ ق، فقه القرآن، قم: انتشارات كتابخانه آية الله مرعشي نجفي(رحمه الله).

الطباطبائي، محمد حسين. ١٣٩٣ق، الميزان في تفسير القرآن، ج ١ و ١٦، بيروت: مؤسسه الاعلمى للمطبوعات.

القرطبي، ابن رشد. ١٤٠٥ ق، الجامع لاحكام القرآن، بيروت: دارالكتب العلمية.

القمي، علي بن ابراهيم. ١٤٠٤ق، تفسير القمي، ج ١، قم: دارالكتاب للطباعة والنشر.

المجلسي، محمد باقر. ١٤٠٣ق، بحار الأنوار، ج ٢ و ٩ و ٧٥ بيروت: دار إحياء التراث العربي.

معرفت، محمد هادي. ١٤١٩ ق، التمهيد في علوم القرآن، مشهد: الجامعة الرضوية في العلوم الاسلامية.

نجفي، محمد حسن. ١٣٦٥ش، جواهر الكلام، ج ٢ و ٤١، دارالكتب الاسلامية.

النوري، حسين. ١٤٠٧ق، مستدرک الوسائل، ج ١٣ و ١٧، بيروت: مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

### الفارسية

الماسي، نجاد علي. ١٣٧٧ش، طبيعت، اشيا و حقوق، تهران: نشر دادگستر.

ابن ابى جمهور، محمد بن زين الدين. ١٤٠٥ق، عوالي اللئالي، ج ١ و ٤، قم: سيدالشهدا.

جوادى آملی، عبدالله. ١٣٨٦ش، اسلام و محيط زيست، مركز نشر اسراء.

الراغب الإصفهاني، حسين بن محمد. ١٣٧٦ش، معجم مفردات الفاظ القرآن، انتشارات مرتضوى.

رستمى، محمد حسن. ١٣٨٠ش، سيمای طبيعت در قرآن، رسالة الماجستير؛ جامعة قم.

عليزاده، ميرزا. ١٣٩١ش، جريان شناسی تفاسير فقهی؛ تاريخ، تطور و نمونه ها(فقه القرآن)، مشهد: دانشگاه علوم اسلامى رضوى.

محقق داماد، مصطفى. ١٣٧١ش، «طبيعت و محيط زيست انسان از ديدگاه اسلام». مجلة رهنمون، الأعداد ٣ و ٢.

مطهرى، مرتضى. ١٣٥٣ش، عدل الهى، قم: مؤسسه انتشارات اسلامى.

مطهرى، مرتضى. ١٣٨١ش، مجموعه آثار، ج ٢، قم: صدرا.

مكارم شيرازى، ناصر. ١٣٦٢ش، تفسير نمونه، ط ٢١، ج ١٧، دارالكتب الاسلاميه.

مهدوى راد، محمدعلى و ديگران. ١٣٩١ش: جريان شناسى تفاسير فقهي؛ تاريخ، تطور و نمونه ها (الجامع)، مشهد: دانشگاه علوم اسلامى رضوى.

نصر، حسين. ١٣٨٢ش، نیاز به علم مقدس، ترجمه حسن میاندارى، تهران: مؤسسه فرهنگى طه.

نقىبى، ابوالقاسم. ١٣٨٩ش، محيط زيست و حقوق آن از منظر قرآن كريم، موقع راسخون.

## المقالات

النجفى اسداللهى، سعيد و شفيح برهانى. دى ١٣٨٧، «مباحث لغوية فى تفسير الكشاف»، فصلية دراسات الأدب المعاصر، جامعة آزاد الإسلامية فى جيرفت، سنة ١، عدد ٢، صص ١٥٣ - ١٦٨.